جامعة باجي مختار- عنابة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: الفلسفة

المستوى: الثانية ماستر، فلسفة تطبيقية. أستاذ المقياس: محمد مينار

السداسي: الأول السنة الجامعية: 2024/2023

الإجابة النموذجية للامتحان الحضوري للسداسي الأول
لمقياس: الفن والجماليات المعاصرة

تعرض المسار التاريخي لتطور فلسفة الجمال إلى بعض المنعطفات الحاسمة منها ما حصل على صعيد الفكر الجمالي الغربي على يد المفكر الجمالي الألماني بومغارتن؛ بحيث تميز هذا المنعطف بالخروج عن التقاليد المعرفية الغربية المؤسسة لفلسفة الجمال وقضاياه، وفي هذا السياق يأتي هذا المقال للحفر المعرفي في الدواعي التي أحاطت بأسس هذا المنعطف، خصوصا ما تعلق بدواعيه النظرية، على اعتبار أن بومغارتن هو صاحب لواء هذا المسعى.

تأسيسا على ما سبق، فإن إشكالية هذا الموضوع تنبع من الرغبة في استقصاء طبيعة المباني المعرفية التي شيّد عليها بومغارتن الإستطيقا؛ وعلى وجه أدق، ما طبيعة الأسس المعرفية التي ترتدّ إليها استطيقا بومغارتن؟، وما قيمة هذه المحاولة في سياق تطور الفكر الجمالي الغربي؟.

ولد المفكر الجمالي الألماني ألكسندر غوتليب بومغارتن *Alexander Gottlieb Baumgarten* في السابع عشر من حزيران عام 1714م ببرلين، وأما وفاته فكانت في الثاني من شهر أيار عام 1762م، تلقى تعليمه في "هال" إلى أن صار من ألمع تلامذة كريستيان وولف (1679/1754م) ثم نال بعد ذلك الدكتوراه عام 1735م، ثم تنقل إلى فرنكفورت عام 1742م ليلقي محاضراته في علم الجمال وهو الحقل المعرفي الذي شغل تفكيرة ونال قسطا وفيراً من وقته.

أصدر بومغارتن في البداية مجلةً ضمّنها أفكاره الجمالية تحت إسم" آليثيوفيلوس"، وكتابا في"الفلسفة العامة" سنة 1730م، و"فلسفة الأخلاق" عام 1740م، وفي 1750م وضع كتابا حول"الإستطيقا" *Aesthetics* في مجلدين، إضافة إلى كتاب حول "القانون الطبيعي" الذي طُبع سنة 1765م.

المتأمل في السياق التاريخي للفكر الجمالي لا يعثر على محاولة جريئة شبيهة بمحاولة بومغارتن "لفك تبعية علم الجمال لبقية الحقول المعرفية الأخرى أو لما ينبغي أن تنحصر ضمنه مهمة الاستطيقا"، لذلك فهو لم يحدث تراكما في تراث الوعي الجمالي فحسب إنما عمد إلى إعادة استدعاء التسمية الأصيلة لعلم الجمال من التراث اليوناني، ومرد ذلك فيما نرى إلى الرغبة في تخليص علم الجمال من هيمنة الأنساق الفلسفية التي كرستها المذاهب الفلسفية الكبرى على غرار المذهب العقلي والمذهب المثالي.

لقد أدرك بومغارتن أن علم الجمال في إطار تبعيته للفلسفة أصبح يعاني حالة استلاب؛ وبالتالي فقد أصبح التبرير المنطقي للحكم الجمالي والذوق الفني محل شك، بحيث إن القواعد المنطقية ثابتة لكن الحكم الجمالي متغير تغير حالات الأفراد وذواتهم.

لهذا، يمكن اعتبار ميلاد الإستطيقا على يد بومغارتن بداية جريئة لبروز الفكر الاحتجاجي الغربي؛ حيث لم يشأ بومغارتن أن تطال النزعة الوضعية علم الجمال، فسارع إلى الإعلان عن الإستقلال التام لهذا الضرب من العلوم، معتبرا إياه لونا مغايرا من المعرفة؛ إنها معرفة ليست بعقلية ولا هي معرفة وضعية، إنما هي معرفة معيارية، تعتمد على المعنى الدّافق للحياة الإنسانية المتشعبة؛ فالإستطيقا من منظور بومغارتن ترُوم الحصول على المعرفة الكاملة من الأفكار البسيطة الدُّنيا التي تتخذ من الخيال حقلاً لها، التي هي في النهاية معرفة جميلة كاملة؛ بحيث لا يقتضي كمالها أن تكون ذات طبيعة عقلية صِرفة بالضرورة كأن تكون ليست صادرة عن قوة عليا كالعقل مثلاً.

وتبعا لما سبق، فإن بومغارتن يقرّ بأن الإستطيقا بوصفها فلسفة للجماليات، تأبى أن تنحصر في إمكانية حصول الإجماع على استحسان الجميل في الأعمال الفنية بإيعاز من العقل، وبالتالي قطع الطريق على الوصاية العقلية، كما أن علم الجمال ليس بالضرورة يبقى حبيس مبحث القيم؛ لأنه ليس من الصواب الخلط بين القيمة الخلقية والقيمة الجمالية.

لذا نجد بومغارتن حريصا مراجعة القضايا والمسائل التي ينبغي أن تضطلع بهما الإستطيقا، وذلك حين يردها إلى المعرفة الحسّية الغامضة؛ إذ ليس بالضرورة ما كان الناس يستحسنونه في زمن علم الجمال، لا زالوا على ذلك في ظل الإستطيقا، حيث وسعت من آفاق التقدير الجمالي ليشمل الطبيعة أيضا.

الأستاذ: محمد مينار